المحاضرة الثانية

ـ المدرسة الوظيفية الفرنسية (fonctionnelle) *أندريه* مارتيني :

تمثل هذه المدرسة مجموعة من اللسانيين ، الذين انتهجوا نهج de Saussure ، مركزين على الوظيفة التواصلية للغة، محاولين اكتشاف الآثار الملموسة لمختلف الاختبارات المتبناة من طرف المتكلم.

ومن أهم مبادئ هذه المدرسة:

أولاً: وضعت هذه المدرسة نظرية كاملة في التَّحليل الفونولوجي.

ثانيًا: تحديد الوظيفة الحقيقية للغة، التي تتمثل في ـ (الاتصال).

ثالثًا:اللغة ظاهرة طبيعية، ذات واقع مادي يتصل بعوامل خارجة عنه.

رابعًا: الدعوة إلى الكشف عن تأثر اللغة بكثير من الظواهر العقلية والنفسية والاجتماعية.

والجدير بالذكر أن الاتجاه الوظيفي بدأ يبرز إلى الوجود ، وتتكون ملامحه في حلقة [مدرسة] براغ [التشيكوسلوفاكية] التي استفادت من آراء دي سوسير بقدر ما استغلت منطلقاتها النظرية في أعمالها، وكونت لنفسها نظرية لغوية، على أنها لم تحدد منهجها إلاّ بالانطلاق من تحديد للغة باعتبارها نظاما وظيفيا يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل.

فإذا كان دور اللغة هو توفير أسباب التواصل، فإن دراسة اللغة ينبغي أن تراعي ذلك، فكل ما يضطلع بدور في التواصل ينتمي إلى اللغة وكل ما ليس له مثل هذا الدور فهو خارج عنها، وبعبارة أخرى فإن العناصر اللغوية هي التي تحمل شحنة إعلامية، أما التي لا يمكن أن نعتبرها ذات شحنة إعلامية فلا يعتد بها اللغوي، فالأولى وحدها هي التي لها وظيفة.

أما القطب الذي تدور عليه رحى الوظيفية فيتمثل في التقطيع المزدوج:

التقطيع الأول: ويتناول الكلمات في صورتها اللفظية ومن حيث مضمونها. فبفضل هذا التقطيع يمكن الحصول على تراكيب غير محدودة من العبارات انطلاقا من عدد محدود من المقاطع.

والتقطيع الثاني: لا يعني فيه إلاّ بالصورة اللفظية، فاستبدال مقطع صوتي من المقاطع المذكورة بمقطع من نفس النوع لا يؤدي في كل حالة إلى نفس التغيير المعنوي فنقل « ـا» من سال إلى زال، لا يغير صورة المدلولات (التي هي مختلفة في أصلها عكس ما هو الحال عليه في التقطيع الأول حيث يكون كتبتُ/كتبتَ/ كتبتِ نفس اللفظة كتب ألصقت بها أصوات مختلفة: ضمير المتكلم والمخاطب والمخاطبة).

والتقطيع الثاني إن كان يؤدي إلى إنجاز عشرات من المقاطع الصوتية (فونيمات) فهو يؤدي بالخصوص إلى عشرات الآلاف من الدلالات المختلفة وعكس ما يراه جاكوبسن، فإن مارتيني لا يرى من الضروري إدخال تقطيع ثالث يهتم بالخصائص التي تميز الحروف أما الفونولوجية العامة ،فإن مارتيني يرجع المردودية الوظيفية التي هي وظيفة لسانية، إلى اختلاف الأصوات، وانطلاقا من التمييز الهام بين الظواهر الصوتية والظواهر الفونولوجية (الحرفية الوظيفية). يضع مارتيني في تقابل الشروط الضرورية للتوصيل حيث يشترط وجود أقصى ما يمكن من الوحدات التي يشترط فيها أن تكون على جانب أكبر من الاختلاف مقابل بذل أقل ما يمكن من الجهد بعدد من الوحدات الأقل تباينا.